

## الآداب المعنوية للصلة، الإمام الخميني: في نبذة من آداب اللباس، المقام الأول



الباب الثاني

في نبذة من آداب اللباس

وفيه مقامان

المقام الأول

اعلم إن النفس الناطقة الانسانية حقيقة، هي: - في عين الوحدة وكمال البساطة - ذات نشأت عمدتها  
كلاً يّة ثلث :

الأولى: النّسأة الملكية الدّنيوية الظّاهرة ومظهرها الحواس الظّاهرة والقشر الأدنى لها هو الحواس  
الملكيّة .

الثانية: النّسأة البرزخية المتوسطة ومظهرها الحواس الباطنية والبدن البرزخي والقلب المثالي.

الثالثة: النّسأة الغيبية الباطنية ومظهرها القلب والشؤون القلبية .

ونسبة كل من هذه المراتب إلى الأخرى نسبة الظاهرة والباطنية، ونسبة التجلّي والمتجلي، ومن هذه الجهة تسري الآثار والخواص والانفعالات من مرتبة إلى أخرى، فمثلاً إذا أدركت حاسّة البصر شيئاً يقع منه أثر في الحسّ البصري البرزخي مناسب لتلك النّسأة ويقع منه أثر في البصر الباطني القلبي ب المناسب تلك النّسأة، وهكذا الآثار القلبية تظهر في النّسأتين الأخيرتين. وهذا المطلب مضافاً إلى أنه مطابق للبرهان القوي المتين مطابق للوجدان أيضاً، فمن هذه الجهة يكون لجميع الآداب الصورية الشرعية في الباطن أثر بل آثار، ولكل من الأخلاق الجملية التي هي من حظوظ مقام برزخية النفس أيضاً آثار في الظاهر والباطن ولكل من العارف الإلهية والعقائد الحقّة في النّسأتين البرزخية والظاهرة آثار .

فمثلاً الإيمان بأن المتصرف في مملكة الوجود وعوالم الغيب والشهود هو الحق تعالى وليس لسائر الموجودات فيها تصرّف إلا التصرّف الأدنى الظّاهري يوجب كثيراً من الكلمات النفسانية والأخلاق الفاضلة الإنسانية مثل التوكل والاعتماد على الحق وقطع الطمع من المخلوق التي هي أمّ الكلمات، ويوجب كثيراً من الأعمال الصالحة والأفعال الحسنة وترك كثير من القبائح، وهكذا سائر المعارف التي تعدادها وتعداد تأثيراتها خارج عن مجال هذه الأوراق، والقلم القاصر للكاتب، ويحتاج إلى تحرير كتاب ضخم لمؤلف صاحب قلم قويٍّ من أهل المعرفة، أو من نفس حار لأحد أهل الحال (دست ما كوتاه وخرما بر نخيل) (مصراع

معروف يعد كمثل دارج مضمونة: إن أيدينا قصيرة والتمر على النخل فلا تصل إليه أيدينا) . وهكذا مثلا خلق الرضا فانه من الأخلاق الكمالية الإنسانية وله تأثيرات كثيرة في تصفية النفس وتجليتها، ويجعل القلب موردا للتجليات الخاصة الإلهية ويوصل الإيمان إلى كماله، وكمال الإيمان إلى الطمأنينة، والطمأنينة إلى كمالها وكمالها إلى المشاهدة، والمشاهدة إلى كمالها، وكمالها إلى المعاشرة، والمعاشرة إلى كمالها وكمالها إلى المراودة، والمراودة إلى كمالها وكمالها إلى المواصلة، والمواصلة إلى كمالها ويرتفي إلى ما لا يسعه وهمي ووهمك .

وفي ملك البدن والآثار والأفعال الصورية التي هي أغصان وأوراق تلك الشجرة تأثيرات غريبة فيصبر السمع والبصر وسائل القوى والأعضاء إلهية وبظاهر سر" كنت سمعه وبصره شيئا ما كما أن لتلك المراتب في الظاهر تأثيرا بل تأثيرات وللهيئة الطاهرة وجميع الحركات والسكنات عادية وغير عادية ولجميع التروك والأفعال أيضا فيها تأثيرات عجيبة بحيث ربما يتافق أن السالك يسقط من الأوج الأعلى إلى أسفل السافلين بنظرة واحدة تحقرية إلى عبد من عباد الله ولا يستطيع جبران هذا السقوط في السنين المتواتلة ، وحيث أن قلوبنا نحن المساكين ضعيفة خفيفة وضئيلة ومثل شجرة المصاصف (لهذه الشجرة صنف خاص يقال له بالفارسية (بيد مجنون) أي المصاصف المجنون لها أغصان ضئيلة جدا متذليلة إلى الأرض وهي كما مثل بها الأستاذ تتحرك بأدنى نسيم ) .

تضطر بالنسيم الرقيق وتفقد حالة السكون ، فاللازم لنا أن نلاحظ الحالات القلبية حتى في الأمور العادية وأحدها ، اتخاذ اللباس وتحفظ على القلب، وحيث أن للنفوس والشيطان حبائل مستحکمة وتسویلان دقيقة جدا والإحاطة بها خارجة عن طاقتنا فلا بد لنا أن نقوم في مقابلها بقدر قوتنا ونطاق وسعنا ونطلب التوفيق والتأييد من الحق تعالى .

فنقول بعدما اتضح أن للباطن في الظاهر وللظاهر في الباطن تأثيرا لابد للإنسان الطالب للحق والارتقاء الروحاني أن يحتزز في انتخاب مادة اللباس وهيئته مما يكون له تأثير السوء في الروح ويخرج القلب عن الاستقامة ويغفله عن الحق يجعل وجهة الروح دنيوية، ولا يتوهّم أن تسوييل الشيطان وتدليس النفس الأمارة إنما هو في اللباس الفاخر الجميل فقط وفي التجمّل والتزيين فحسب بل اللباس الخلق الذي لا قيمة له ربما يسقط الإنسان عن درجة الاعتبار، ومن هذه الجهة لابد للإنسان أن يحتزز من لباس الشهرة بل من مطلق المشي على خلاف المعمول والمتعارف ، كما أنه لابد" أن يحتزز عن الألبسة الفاخرة التي تكون مادتها وجنسها فيما تكون هيئتها وخياتها حالبة للأنظار ومسارا إليها بالبنان لأن قلوبنا ضعيفة وغير ثابتة، فبمجرد الامتياز والتعيين يزد" وينحرف عن الاعتدال فالإنسان المسكين الضعيف العاري من جميع مراحل الشرف والإنسانية وعزّة النفس وكمال الآدمية والبريء منها ربما يتافق أنه بواسطة أذرع من

الثوب الابريسم أو من الصوف وقد قلّد في خياتته الأجانب مع أنه تمكّن منه بقيمة هي بيعه شرفه وارتكابه العارات، ينظر إلى عباد الله بننظر الحقاره وال الكبر ولا يعيّن لموجود قيمة، وهذا ليس إلا من كمال ضعف نفسه وقلّة طرفيّته حيث يتوهّم أن فضلات القزّ ولباس الغنم موجبة لاعتباره وشرفه .

2- أيها الإنسان المسكين، ما هذا الضعف؟ وما هذه المسكنة فيك؟ فشأنك أن تكون فخراً لعالم الإمكان وخلاصة للكون والمكان، أنت ابن آدم وشأنك أن تكون معلمًا للأسماء والصفات، أنت ابن خليفة الله وشأنك أن تكون من الآيات الباهرات (تورا زكنكره عرش ميزنند صفير) (صراع بيت للحافظ الشيرازي يقول: أنت الطائر الذي تركت مكانك فمن أعلى العرش يصفرون لك كي ترجع إلى وكرك) . أيها الشقيّ والخلف غير الصالح غصب مقداراً قليلاً من فضلات الحيوانات وملبوساتها وتفتخر بها . لو كان هذا فخراً فهو للقزّ والغنم والإبل والسنجب والأرنبي . لماذا تفتخر بلباس غيرك وتدلّل بما هو فخر لهم وتتكبّر به؟ وبالجملة كما أن لمادة اللباس وجنسه وكوئه قيمةً ما ومزيّناً تأثيراً في النفوس، ومن هذه الجهة قال أمير المؤمنين عليه السلام كما رواه القطب الرواندي (هو أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن العالم المتبحّر الفقيه المحدث صاحب الخرائج والجرائح وقصص الانبياء ولب اللباب وشرح النهج وغيره وهو أحد مشايخ ابن شهر آشوب يروي عن جماعة كثيرة من المشايخ . توفي القطب 4 شوال سنة 573 (تعج) كما في البحار نقاً عن خطّ الشهيد وقبره ببلد قُوم في جوار الحضرة الفاطمية عليها السلام ، مزار معروف). عليه الرحمة: "من ليس ثوباً عالياً فلا بد من التكبر ولابد للمتكبّر من النار" .

ذلك في هيئته وكيفيّة قصّه وخياتته آثار ربما يحصل للإنسان بواسطة أنه شبّه لباسه بالأجانب عصبية جاهلية للأجانب ويتجهّر ويتنفّر من الله ورسوله ويكون أعداء الله وأعداء رسوله محظوظين عنده ولذا ورد في الرواية عن الصادق عليه السلام: "إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى بعض أوليائه : قل للمؤمنين لا تلبسو ملابس أعدائي ولا تأكلوا كأعدائي ولا تمشوا كأعدائي فتكتونوا أعدائي كـ هم أعدائي" .

فكمّا أن للألبسة الفاخرة جداً في النفوس تأثيراً، كذلك للألبسة الدنيئة جداً من حيث المادة والجنس ومن حيث الهيئة والشكل في النفوس تأثير، وربما يكون فساد هذا اللباس أشد بمراتب من تلك الألبسة الفاخرة لأن للنفس مكائد دقيقة جداً فبمجرد أن يرى السالك نفسه من النوع الممتاز بأنه لبس اللباس الخشن والكريبي وليس سائر الناس الألبسة اللينة اللطيفة، فهو بواسطة حب النفس يغفل هو عن عيوبه ويحسب هذا الأمر العرضي وغير المرّبوط به سبباً لافتخاره، وربما يعجب بنفسه ويتكبّر على عباد الله ويحسب سائر الناس مبعدين عن ساحة القدس للحق ويرى نفسه من المقربين ومن خلاص عباد الله وربما يبتلى بالرياء

وسائل المفاسد العظيمة، فالمسكين اقتنع من جميع مراتب المعرفة والتقوى والكمالات النفسانية باللباس الخشن وليس الخلق وغفل عن الآلاف من عيوبه التي من أعظمها هذا العيب الذي حدث فيه من سوء تأثير هذا اللباس، وحسب نفسه من أهل  $\text{هـ}$  مع أنه من أولياء الشيطان وحسب عباد  $\text{هـ}$  لا شيء وبلا قيمة .

وكذلك أيضا ربما يكون أن هيئة اللباس وكيفيته يبلي الإنسان بمفاسد مثل أن يرتّب اللباس على نحو يشتهر بالزهد والقدس، وبالجملة لباس الشهرة سواء في جانب الافراط أو في جانب التفريط من الأمور التي ترثى القلوب الضعيفة وتخلعها من مكارم الأخلاق وتوجب العجب والرياء والكبر (وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله لابي ذر<sup>رض</sup>: "يا أبا ذر<sup>رض</sup> لبس الخشن من اللباس والصفيق من الثياب لئلا يجد الفخر فيك مسلكه") . التي كل واحد منها من أمehات الرذائل النفسانية والموجب للركون إلى الدنيا . وعلاقة القلب بها الذي هو رأس كل الخطئات ومنبع جميع القبائح .

وفي الأحاديث أيضا أشير إلى كثير من الأمور المذكورة كما في الكافي الشريف عن الصادق عليه السلام:  
"إن  $\text{هـ}$  يبغض شهرة اللباس" .

وعنه أيضا قال: "الشهرة خيرها وشرها في النار" . وعنده عليه السلام: "إن  $\text{هـ}$  يبغض شهرتيين، شهرة اللباس وشهرة الصلوة" .

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما معناه: "من لبس ثياب شهرة في الدنيا ألبسه  $\text{هـ}$  ثياب الذلة" يوم القيمة" .